

الثالث

مسرحية من فصل واحد

تأليف فليحه حسن
إشراف الدكتور الفنان اسعد راشد

المسرح خالٍ الا من ضوء خافت على باب خشبية سميقة القَدَم ثلاثية الأضلاع،
تقف وسط المسرح كصنم! كملتقى وكمفرق طرق! تدور على نفسها عند اشتداد
الضوء تدريجياً، فتبين عليها ملامح وجوهها الثلاثة: تاريخ قديم وقرون وسطى
واليوم.

يخفت الضوء ... نسمع وقع اقدام لاهته ... ومن جهة اليمين يمتد على الأرض خيط
ضوء ليرتطم بإحدى وجوه الباب. تظهر قدمين على مبدء خيط الضوء.

هو - (يخاطب قدميه الظاهرتان في الضوء) بسرعة.. بسرعة. لا تكلا. لا
تتعبا. لن نسمح لهم ان يلحقون بنا . هيا ..
(يرتطم رأسه بإحدى وجوه الباب .. يرتفع خيط الضوء حتى رأس ال هو)
آخ ماهذا ؟ من أين أتى..؟ ماذا يعني هذا ؟ بأي اتجاه أسير؟ لم وضع هذا هنا ؟
(يحاول اكتشاف المكان ويدور حول نفسه)
اللجنة لم أنا هنا؟ لم ؟
(يقترب من الباب ويبدأ . ويهمسه أنيه)
أبعد كل هذي الطرق التي عبدت بالمخاطر تكون نهاية المنتهى؟ ابعد كل هذه
العناءات والعرق المتصعب وتشقق الأقدام تكون أنت نهايتي؟ اللعنه ! اللعنه ! ...
(يصرخ بفزع ويضم قبضته ضاربا الباب بعنف وهو يصيح)
من أين لي بفأسك يا كلكامش؟؛ ما أحوجني الآن الى قبضتك يا انكيديو؟؛ من
أين؟ من أين؟
(يتهالك ساقطا على الأرض, يسحب نفسه ويقرفص أقدامه، ويحرق بصمت
على طول خيط الضوء)

- موسيقى حزينة. ويمتد خيط ضوء من جهة أخرى ... تسمع أصوات أخرى
لأقدام مسرعة بالركض. تظهر قدمين في مبدء الضوء.
هي - بسرعة , بسرعة ربما سيلحقون بنا . لا اريد ان يمسكو بي؛ ليس لهم أن
يفعلوا ذلك بي؛ لن أمكنهم من ذلك. اسمعهم ورائي؛ يا إلهي ..

(تصطدم بوجه ثانٍ من وجوه الباب. يرتفع خيط الضوء فنرى الـ هي. وعلى وجهها الذعر من وجود الباب. تلتصق ظهرها الى الباب وتبدء هذيانا مسموعا)

هي - يااللهي كيف ؟ كيف سأهرب؟ أين سأذهب؟ لم هذا الباب هنا؟ من جعله نهاية طريقي؟ هل هو فخ؟ (تنتفض) نعم ، لا بد من إنهم يعلمون بمروري من هنا؛ لا بد إنهم من خطط لذلك. (بعد برهة تنتبه) ولكنهم لايعلمون بفراري أصلاً؟ لم أعلم ولم يعلم احد بمروري في هذي الطريق؟

(تنتبه لوجود الـ هو الجالس القرفصاء. تخر هي الأخرى مقرفة خائفه وتساله دون ان تنظر اليه)

هي - من أنت؟ هل أنت منهم؟ لم جئت ورائي؟ أنا لم افعل شيئاً؟ أنا
(يرفع الرجل رأسه وينظر إليها وهو يتكلم بهدوء)
هو - لا عليك لست منهم, أنا مثلك.

هي - (باندهاش) مثلي؟

هو - نعم مثلك... لي ما اهرب منه, ومن يلاحقوني . لي ضياعي.

هي - (بتحفظ) ملامحك تبدو مألوفة إليّ. وكأنني أعرفك؟

هو - ربما قد رأيتني في حلمك أو قي مرأياك أو في ما تركضين إليه؟

هي - (بإصرار) ولكني أعرفك؟

هو - ومن منا لا يعرف الآخر؟ أنت و أنا نهرب من شيء و نصطدم بحقيقة واحدة؟

هي - ماذا أي حقيقة ؟

هو - (بغضب بادي) هل تتغافلين؟ الباب. انظري إليه انظري؛ يقف حائلاً دون حريتنا, دون حياتنا. ما بك انظري افتحي عينيك أمانك لا تبصريه ؟

هي - (تتاوه) ما جدوى العين؟ ما جدوى النظر إذا لم يكن وسيلة للنجاة؟ هل ستساعدني عيوني في الخلاص من هنا؟ هذا الواقف هنا كالسد ؟

(تخفت الأضاءة على الـ هو. وتبدء الـ هي بالبوح)

هي - كنت قبله وحدي

لا مقياس ليدي، لا امتداد لحلمي

كنت أكل وأنام واصمت.

جاء... رأيتة ...أشار بيده أن كوني

فكنت. فتاة بأحلام منتقاة

صارت عيناه بقائي على قيد اللحم

عشت على غيمة وطفاء, واثبت لي إن في الفرح متسع
ابتسم فأولدني وأغمضت روعي إلا عن التكهن بما سيصير
وسألت بصارة الحي ورودها الجواب في الهزيع الأخير
وقبل بسملة حلمي الأخضر
التصق الدم بالخناجر والظل بالخناجر
وأوت النساء الى البيوت الكالحة
وخلع الذئب وجهه فصار مدينة
وأنا في آخر سجدة لملاك تكويني
ارتعشت أيامي وهربت مني الألوان
لنترك روعي بوتقة سوداء تصيح: أه من أين لي بك الآن
كي أقيم عليك حداداً احمر؟؟؟؟

- تنتقل شدة الضوء بين الـ هي والـ هو

هو - لا تستعجلي. سوف تقوم قيامتنا بعد قليل
راعني أن أكون المهاجر وحدي برأس النهار
فألتفت بجلد الصراخ وأشرت بان هذا خطأ،.... وهذا خطأ.... وهذا خطأ...
وهذا، وهذا، وهذا .. وكفى لَهَم الأخطاء.
غير إنهم استباحوا كل ما شاقهم، وكنت كطائر من لهب.
كلما ركض المادحون للغصون اليباس امتهن مهنة الأخيذة
غير إن كلمات الدم حاورت شفاه الأوردة
واقنتى شرطي التوجس اثارى

- يستدير الى الـ هي ماذا ساقبه على طول الشعاع، رافعا جذعه بيده اليسرى
وفاتحا صدره باليمنى.

هو - انظري ثمة اثر للعسس فوق قلبي؟؟؟؟؛
أعلّي أن احترز بالمعري كي أعيش؟ قولي قولي؟؟
(يجلس القرفصاء باكيا)
هي - (بدهشة) ماذا هل الرجال تبكي أيضا؟
هو - (بحزن) ولم لا؟ الدموع اكبر من أن نحتويها؟
هي - (معترضة) لا، الدموع اصغر من أن تحتويها؛
هو - (يقف منتفضاً) وماذا أذن؟ ماذا اخبريني؟ نصمت حتى عن الدمع؟
هي - الصمت قناع الكلمة؛
هو - لا الكلمة ولا قناعها قادرين على خلاصنا (يشير الى الباب) هو من
يتوجب علينا الخلاص منه ,

هي - واذن. ماذا نفعل؟ نظرقه؟
هو - وماذا سيفيد الطرق؟
هي - نكسره؟
هو - وماذا سيظهر خلفه؟ واحة ماء نطفأ بها ظمأ هروب مستمر؟
هي - لنظرقه ونرى.
هو - هل جننت؟
هي - وما الجنون غير ما نحن فيه. خوفنا يتوالد ونحن قواقع خرساء. ليس في سكون هذا الباب وسكون الليل مسافة تتسع لصراخنا؟
هو - وماذا سنفعل؟
هي - نظرقه.
هو - اي من الأبواب طرقنا وكانت فرجا؟
هي - اذن فلنبحث عن منافذ أخرى؟
هو - كيف؟ أين؟ في أيما اتجاه نسير؟
هي - لا ادري (وهي تشير الى اتجاهات مختلفة) ربما من هنا؛ ربما من هناك؛ ربما من هناك؛.....

(يتوقفان عن الكلام والإشارة حين يسمعان خطوات لاهته ويصيحان بصوت واحد)

هو هي - من؟

(ظلام. تظهر اقدام، في خيط ضوء من جهة ثالثة، تركض وترتطم بالوجه الثالث من الباب)

هو هي - من أنت؟

الآخر - أنا.... (بخوف) انتم من؟ (بصوت متقطع) هل... تب... تب... تب... ؟
أنا.. أنا.... لا . (نافيا تهمة ما) لست أنا لَمْ تتبعوني؟؟

هو - ماذا؟

هي - نحن مثلك؟ اطمأن.

الآخر - (بدهشة) ماذا؟

هو - (باستغراب) عجيب. تطمئنيه؟ ولم لا تشعرني أنتِ بذلك الاطمئنان سيدتي؟

هي - (بحزن) بل هي أمنية أن نشعر ما نسعى إليه .

الآخر - استدرکوا قليلا؟ ووضحوا لي من انتم؟ ولم نحن هنا أصلاً؟

هو - نحن من ضيعنا الآخر وانتصبت الأبواب بوجوهنا اطواداً

الآخر - (بصوت حزين) كنتُ أظن بأنني الهارب الوحيد
هي - (تضحك بسخرية) الوحيد؟؛ أنصت قليلاً في طيات الليل وسترى كم
من قدم يصم وقعها الهارب إذنيك فلا تستطيع الهدوء ؛
هو - أو أغمض عينيك إن استطعت عن هذه الظلال الفائرة ؟ موعودون نحن
باجتياح الآخر لنا ،والصمت أمام قدومه المريع .
الآخر - (مقاطعاً) ولكنني غير قادر على البقاء مع كل قضبان السجون تلك ؟
هي - احكي ؟ (تخفت الأضياء على الـ هي والـ هو وتتركز على الآخر)

الآخر - أبدا لم أكن أنا .
كان نائماً أو هكذا اعتقدتُ .
اقتربتُ منه بكلي .
تشممتُ أصابعي - وديانه ، انهاره وصحراءه . جسده كله .
صرتُ اقلبه بين جهات الدهول ،
ولم أعي إن لأصابعي اثر يُسلط ضدي .
قلتُ لستُ أنا . صرختُ . قالوا : تحبه !
هذه كانت تهمتي . حتى أخي كان معهم....
كنتُ اصرخ باسمه أخي أخي أعمدة الصلب تدميني .
كان يبتسم في مرياهم وبيتاع مسامير الصلب الهـي اغفر لهم .
كان لأبد لي من الفرار . استبدلتُ أقدامي بالريح وطويتُ خوفي وضننتُ أن
الفرار ليس بعقيم غير إن هذه الباب أثبتتُ عكس ما ظننتُ .

هو - هي هكذا دوماً، الأبواب عقيمة الرؤوس مخيفة, لا تشي بوجود غير
ماتوضع له .

هي - (بتهكم) ها....و لهذا يسمى العثمانيون حكامهم أبوابا؛ فصار أن ولد
الباب العالي - وبابا جديداً أعالي، أولدتُ قراراته الموت ؟

هو - (بحزن) سيدتي كنا ومازلنا نتحكم الأبواب بنا .

الآخر - (منتفضاً) إذن هل نبقى هكذا مشدودين عنوة بقم باب مغلق؟

هي - لا .

هو - وما نفعل ؟ أي الدروب نسلك ؟ومن قال أن لا أبواب أخرى تتغلق على
مصائرنا ؟

الآخر - (بحزن) أنا لا أستطيع أن أبقى بانتظارهم حتى إذا ما قدموا وجدوني
لقمة سائغة لقدر أرادوه ؟ سأسلك طريقاً أخرى؛

هي - نعم هكذا يجب أن نركل صمت هذا الباب .

الآخر - هي المصيبة الجديدة اذا فُتح . فتحٌ جديد ذبح جديد !!

هي - ليأخذ كلاً منا درب مغايرة ولنواصل حيث لا يوصلنا باب .

هو - سأذهب من هنا (وهو يشير يميناً)
الآخر - أنا سأسلك هذا الطريق (وأشار الى جهة اليسار)
هي - أما أنا . (يقطع حوارها ظلام مفاجئ وموسيقى غير مألوفة وتسير في
درب أخرى غير ما سلك الاثنان.)

- يخرج الجميع ويسلط ضوء على الباب الضخم.
- يُسمع وقع أقدام. ويمتد خيط الضوء على الأرض.. ويدخل الـ هو من جهة
غير الجهة التي خرج منها. ويفاجئه وجود الباب المثلث.

هو - لم أراني أعود فأرك. ولم انت أيضاً. هل تهت مرة أخرى هل تهت؟
ولكني لم اسلك نفس الطريق؟ أنا ذهبتُ باتجاه الغابة فلم تقف أنت حائلاً دون
بلوغ ظلال أشجارها؟(صارخاً) أحب أيها المقلد... أحب أيها المقلد عن أسرار
ستفضي الى هلاكنا احب... احب... احب... (ظلام)

- يُسمع وقع أقدام. ويمتد خيط الضوء على الأرض.. وترى المرأة وهي تركض
عائدة الى المسرح من جهة أخرى. تتفاجأ بعودتها الى نفس المكان.

هي - لم أنت هنا أيضاً (ثم الى نفسها) هل أخطأت الطريق ثانية؟ ماذا حدث؟
أنا لم اسلك الطريق الأول. ذهبتُ الى جهة البحر هذه المرة؛ فلم تحول دون
الوصول الى موجه (ثم تصرخ) يا باب.. يا باب.. لا أريدك لي مصيراً لا
أريدك لي مصيراً؟! (وقبل أن تكمل جملتها ترى الآخر راكضاً يتصبب العرق
منه فيتساءل حين يراها)
الآخر - ما هذا؟ الم تذهبي من هنا؟ (ثم ينتبه فيسأل) ولكني أنا من ذهب وترك
هذا المكان .

(يقطع كلامه دخول الرجل الأول راكضاً وهو يتلفت الى المكان باندهاش)
هو - ماذا حدث؟ ما هذا؟

الآخر - أنتما ثانية؟ أنتما؟ لم لم ترحلان؟ (ثم ينتبه) ولكني أنا من ترككما. لماذا
أعود إليكما لم لا تجيبوا؟ والباب.. لم هو أول طريقي وأخرها؟؟ تناءيت عنه
بطريق آخر. قلتُ ستكون لي الصحراء مأوى. ولم أبه لأكف رمالها المتجهة
صوبي. قلتُ يا صحراء خذيني ابناً باراً لهجيرك وجنيناً يلتم في رحمٍ لا تخلو
من غيره. صرختُ: أمي أمي صحرائي.... أنا قادم اقتربي ضمني إليك . (الى
الباب) فلم أجدك أمامي؟ تتغلق عن حضن أمي الرملي وقد تحولت روعي
الى مسام؟ (الى الـ هي) من أنت؟ لم تلاحقيني؟ (الى الـ هو) وأنت أليس لك
غيري تطارده (وللاثنان) لم علي أن أجدكما في كل مكان؟
هي - (تعيد سؤاله إليه) بل لم علينا أن نراك في دروبنا؟ هل أنت امرأة لا
تعكس إلا خيبتنا وخوفنا.

الآخر - (بغضب) مذ رأيتكما قلت أنكما منهم ؛لابد أن تكونا كذلك؛ وإلا فما معنى أن أراكما ظلال خطواتي في دروبي الهاربة ؟
هي - من أنت؟ (تنتقل بالإشارة بين الرجلين) من أنت ؟
هو - من أنت ؟ (ينتقل بالإشارة بين الأثنين) من أنت ؟
الآخر - من أنت ؟ من أنت ؟ (ويشير الى الباب) ولم أنت دائما ؟ ... معنا ؟..... فينا ؟ أليست الدروب تقود الدروب ؟ لماذا أذن نضيع بوسط المتاهة ؟؟
لماذا ؟ لماذا!!!!!!؟؟؟؟
هي و هو - من انت؟
الآخر و هو - من انت ؟
هي و الآخر - من انت؟

- تتلاشى أصوات الثلاثة تدريجيا وتُسمع موسيقى حزينة .

الآخر - لا. لن ابقى. سأذهب من هنا. (يبدء بالتحرك باتجاه غير الأتجاه الذي خرج منه وتجمد حركته)
هو - من هنا . (يشير عكس اتجاه الآخر ويبدء بالتحرك ... تجمد حركته)
هي - اما انا فليس لي ألا درب واحدة سأسلكها وان لم أرد. (تشير باتجاه خيط شعاع خلف المشاهدين ... وتخرج تابعة سبابتها حيث اشرت)

النهـ

المؤلفه - لا لا لحظة. انتظروا رجاءا . يمكن لكم ان تحذفوا كل الحوار! وتأدون ما كتبته دون كلام.

النهـايه